



عناية الجامعة الجزائرية بالمخطوطات (دراسة في أسباب العزوف والإقبال على التحقيق)
The Algerian University's care for manuscripts
(a study the reasons of the abstinence and the acceptance in investigation)

فتيحة يطو

جامعة سيدي بلعباس، الجزائر
f.yettou@yahoo.fr

عائشة يطو^(*)

جامعة مستغانم، الجزائر
aicha.yettou@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2025/12/28

تاريخ القبول: 2025/12/14

تاريخ الإيداع: 2025/05/18

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن حقيقة وضعية تحقيق المخطوطات في الجامعات الجزائرية، وأنواع المشكلات التي تعترض سبيل الطلبة المشتغلين بالتحقيق، ثم مناقشتها، للوقوف على ملامحها، وكيف أثّرت سلبا على أدائهم. إلى جانب تأكيد فكرة أن مجال التحقيق مجال حيوي، مقيد بشروط؛ والإخلال بواحد منها يؤثر سلبا على النتائج المنتظرة من تحقيق النص. لذا وجب الكشف عنها، وتحليلها، وإيجاد حلول لها، لتسهم في إخراج بحوث نوعية في هذا التخصص العلمي الدقيق.

^(*) المؤلف المرسل: عائشة يطو: aicha.yettou@univ-mosta.dz



أما النتائج المتوصل إليها: فمنها أن المحقق في الجامعات الجزائرية يواجه كثيرا من المشكلات، مصدرها إما الباحث نفسه، أو غيره، أثرت على جودة أعمالهم المحققة. وهذه المعوقات نفسها جعلت طلبة آخرين يعزفون عن ممارسة التحقيق في الدراسات العليا. لكن: هذه المشكلات لها حلول، إذا ما تعاون أهل الشأن على ذلك، لغاية إنقاذ تراث الأمة المخطوط.

الكلمات الدالة:

التراث؛ التحقيق؛ الجزائر؛ المخطوط، الجامعة

Abstract:

This research aims to reveal the truth of the condition of the investigation of the manuscripts in the Algerian universities, and the kinds of problems which prevent the students who are working on the investigation, then its discussion, to stand on its features, and how it effect negatively on their performance. Beside the confirmation of the idea that the field of the investigation is a vital field, limited by conditions; eliminating one of these conditions effects negatively on the expected results of achieving the text. Therefore there must be a revelation on it, and analyzing it, and finding solutions to it, to contribute in directing variety of researches in this specific scientific specialty.

However, the achieved results; from which the investigator in the Algerian universities faces a lot of problems, its source either the investigator himself or the others, effect on the quality obtained works. And these obstacles themselves made other students avoid performing the investigation in high studies. But, these problems have solutions in the responsible persons collaborate on it, till saving the heritage of the manuscripts of the nation.

Key Words:

The heritage; The investigation; Algeria; Manuscript, University

مقدمة:

تحقيق المخطوطات عمل مائع وشاق في آن واحد. ومع ذلك فقد أقبل بعض طلبة الدراسات العليا على هذا المجال المحفوف بالمخاطر، فأضحت ظاهرة " جديرة بالتنويه...لأن نشر المخطوطات إنما هو إحياء التراث، وبالتالي هو التفاتة واعية للماضي وفهمه، من أجل بناء مستقبل سليم..."¹. إنها ظاهرة تنبي بهضة فكرية حضارية، وبوجود جيل غيور على تراثه، راغب في حمايته، وتقديمه في صورة ناصعة، ليفيد منه الدارسون. لكن مشكلات عديدة حالت دون الغاية المنشودة من فعل التحقيق في كثير من الأحيان؛ فخرجت بعض التحقيقات يشوبها نقص بسبب تلك المعوقات.



نسعى في ورقتنا البحثية هذه إلى الوقوف على هذه المشكلات: ما هي؟ ما أسبابها؟ ما ذا ينتج عنها؟ وما هي الحلول المقترحة؟. فأهمية الموضوع وأهدافه تكمن في أن مجال التحقيق مجال حيوي، له شروط ومتطلبات؛ فإذا أخل بواحد منها أثر ذلك سلبا في النتائج المتوخاة من تحقيق النصوص، فلزم الكشف عنها، وتحليلها، وإيجاد حلول لها، علما تسهم في تحسين الأداء، فتكون بين أيدينا مدونات محققة تحقيقا علميا، وموثوق فيها.

هذا الطرح إسهام في خدمة تراثنا بنقد أعمال الباحثين الجامعيين المشتغلين بتحقيق المخطوطات في رسائلهم للماجستير والدكتوراه، وتوعيتهم بالخطر المحدق بالتراث، وتنبيههم إلى الثغرات، وتوجيههم نحو آليات الإصلاح، لتكون تحقيقاتهم حماية حقيقية للتراث، تعمل على إنقاذه لا هدمه. أما خطتنا في عرض الموضوع فبنيت على العناصر الآتية:

- شروط تحقيق المخطوطات؛ وفيه تناولنا مفهوم التحقيق، والشروط التي تخص الطالب المحقق، والمخطوطة المختارة للتحقيق، والمشرف على هذا الطالب المحقق.

- مشكلات التحقيق؛ وهي مختلفة المصدر، إذ هناك ما مصدره الطالب المحقق، وهناك ما مصدره غير هذا الطالب.

- نماذج للدراسة والنقد؛ وفيه تخيرنا نموذجين. عرفنا بالمشكل، وعرضناه كما ورد في أصله، ثم عقبنا بتحليل ونقد واقتراح.

- حلول مقترحة؛ وفيه قدمنا مجموعة من الحلول - مستمدة من تجربتنا وتجارب غيرنا - لأهم المشكلات المطروحة في مجال تحقيق المخطوطات في الدراسات العليا بالجزائر.

وكانت خاتمة البحث لأهم النتائج المستخلصة منه، ملحق بها مجموعة من التوصيات.

1. شروط تحقيق المخطوطات:

الكتاب المحقق هو ما صح عنوانه، واسم مؤلفه، وثبتت نسبته إليه، وكان نصه أقرب ما يكون موافقة لما تركه عليه مؤلفه. ولا يقصد بكلمة (أقرب) أن يخمن أية قراءة، وإنما يلزم المحقق بذل جهد أكبر لإيجاد دليل قوي، يؤيد القراءة المختارة² ولذلك فالتحقيق يتطلب عناية خاصة، وجهدا عظيما، وشروطا خاصة، لا بد من توفرها في الطالب المحقق، ومشرفه، والمخطوطة التي نوى تحقيقها. وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أ - الطالب المحقق:

يشترط في المحقق صفات خلقية، خلقية وفكرية، هي:



- الأمانة العلمية: يكون أميننا على النص الذي يحققه، مع الدقة في أدائه، من غير زيادة أو نقصان.

- الموضوعية: يقصي أهواء الشخصية والمذهبية.

- الصبر مع قوة الإرادة والعزيمة: التحقيق عمل فيه مشقة؛ فلا بد من صبر ومصابرة، في كل خطوة، للتغلب على العقبات.

- الرغبة في العمل واستشعار قيمة التراث العلمي والفكري: يدفع ذلك إلى بذله جهودا عظيمة، مع التضحية، في سبيل إنقاذ تراث أمته من الضياع.

- التواضع .

- الفطنة والذكاء ودقة الملاحظة.

- التضحية والتفرغ للتحقيق.

- عدم التسرع في اتخاذ القرارات، وإصدار الأحكام.

- العلم والدراية الكافية بموضوع المخطوط الذي ينوي تحقيقه، من حيث مصطلحاته، فروعه، مصادره، وتاريخه...
- امتلاكه خبرة بعلم المخطوط؛ التصحيف والتحريف، الخطوط وأنواعها، الورق وأنواعه، والتسفير...

- المعرفة الجيدة بالتحقيق وقواعد، نظريا وتطبيقا.

- يكون متمرسا بأساليب العلماء، عارفا بمصطلحاتهم.

- إتقانه اللغة العربية وعلومها.

- امتلاكه ثقافة عامة، من نحو المعرفة بلغات وعلوم أخرى، تعينه على سبر أغوار النص المخطوط، وسهولة التعامل معه.

- إحاطته بالبيبلوغرافيات العربية، وفهارس المخطوطات، والكتب³.

ب - الأستاذ المشرف:

للمشرف دور كبير في نجاح عملية التحقيق، إذا توفرت فيه الشروط الآتية

(مؤهلات المشرف الجيد أخلاقا وعلميا):

- التخصص في المجال المعرفي للمخطوط.

- التخصص في مجال تحقيق المخطوطات، أو له إلمام واسع به وبعلم المخطوطات

عامة.



- له استعداد تام لمتابعة عمل الطالب، وتيسير مهمته، وتقديم المساعدات اللازمة له، معنوية كانت أم مادية، لأجل تخطي العقبات.
- يعين طالبه على اختيار مخطوطة تناسب مع تخصصه ومستواه العلمي؛ فما يصلح تحقيقه في مرحلة الماجستير، قد لا يصلح في مرحلة الدكتوراه.

ج- المخطوط:

لاختيار مخطوط يصلح للتحقيق من أجل الحصول على درجة علمية عليا، لا بد من أن تتوفر فيه الشروط الآتية:
- عدم تحقيقه من قبل.
- يكون موضوعه غير مسجل في جامعة من الجامعات.
- تم تحقيقه، ولكنه كان تحقيقا غير علمي.
- ذو قيمة علمية: محتواه العلمي مهم، يجعله مؤهلا لأن يحقق.
- حجمه مناسب جدا، بحيث يمكن إتمام تحقيقه في المدة الزمنية المحددة من قبل الإدارة.

- تتوفر له نسخ أخرى، تكون كافية لتحقيق النص⁴.

2. مشكلات التحقيق:

إن عدم توفر الشروط المذكورة آنفا، أو نقصان بعضها، لا شك في أنه سيؤدي إلى ظهور مشكلات تؤثر سلبا على عمل المحقق.
فما هي هذه المشكلات؟

إنها مشكلات مختلفة ما بين ذاتية وتقنية، رصدت بعضها من خلال مقدمات بعض الرسائل الجامعية⁵، وهي:

أ - عدم الحصول على نسخ كافية للشروع في التحقيق، لتهاون الطالب في البحث عنها، أو لصعوبة الحصول على بعضها، بسبب تعذر التنقل إلى أماكن تواجدها، أو بسبب امتناع مالكيها من إتاحتها لطالبيها.

ب - حصوله على نسخة فريدة لا أخت لها؛ قد تجعله يعدل عن التحقيق، إلا إذا كانت بخط مؤلفها، حاملة للمواصفات المطلوبة، التي تؤهلها لأن تحقق.

ج - الجهل بالخط العربي وأنواعه، خاصة الأندلسي منه والمغربي.

د - إعادة تحقيق مخطوط محقق دون وجود مسوغات الإعادة.



- هـ - الاشتراك في التحقيق، مع عدم توفر الشروط اللازمة لذلك.
- و - عنوان المخطوط المتعدد؛ فقد يصل المحقق إلى العنوان المرجوح، وقد يعجز عن ذلك.
- ز - كبر حجم المخطوط، مع ضيق الوقت، عائق في إتمام التحقيق على الوجه المطلوب.
- ح - تحقيق نسخة مطبوعة طبعا حجريا، مع وجود نسخ خطية له.
- ط - صعوبة قراءة النص لرداءة خط الناسخ، أو عدم وضوحه، أو عدم فهم رموز ومصطلحات في النسخ الخطية.
- ي - كثرة السقط والخلط، مما يصعب أمر المقابلة.
- ك - تنوع المعارف في النص، مما يتطلب جهدا مضاعفا في التحقيق.
- ل - حداثة عهد الطالب بالتحقيق، وقلة الخبرة فيه.
- م - صعوبة الحصول على مصادر التخريج والترجمة، ومصادر المؤلف وغيره مما ورد ذكره في النص، فقد تكون مخطوطة أو مفقودة.
- ص - صعوبة التعامل مع كتب التراث؛ الأساليب، والمصطلحات الغامضة والصعبة.
- ع - صعوبة فن التحقيق، يستهلك وقتا وجهدا كبيرين.
- ف - اعتماد نسخة سقيمة، يكون سببها ناسخ غير متقن للعربية، أو جاهل بها.
- ض - إهمال مراجعة مصادر المؤلف لمعرفة أسلوبه.

3. نماذج للدراسة والنقد:

- أ - صعوبة الحصول على نسخ المخطوط أحيانا، والتهاون في تحصيلها أحيانا أخرى:
- يسعى المحقق في المرحلة الأولى- قبل تسجيل موضوعه رسميا- إلى معرفة أماكن تواجد نسخ مخطوطه، في المكتبات المختلفة عبر العالم، مستعينا في ذلك بفهارس المخطوطات الورقية والرقمية، والكتب التي عنيت بحصر كتب التراث ودراسته؛ والمراكز البحثية والجامعات، وكل هيئة لها علاقة بالتراث المخطوط. ووجب عليه الارتحال إليها ليقف على طلبه، فيدرس النسخ، ويقتني منها ما يفيد لإجراء التحقيق على الوجه المطلوب. وهذه الخطوة تأتي بعد التثبت من الكتاب ومؤلفه⁶.
- لكن قد يتهاون بعض الطلبة في البحث عن النسخ اللازمة، فيكتفي " بنسخ هزيلة، مع وجود نسخ عالية للكتاب [المراد] تحقيقه؛ [لتقصير منه]. وربما اقتصر بعضهم على مخطوطة واحدة، مع وجود مخطوطات عديدة للكتاب "⁷.



إن المحقق الجاد لا يتهاون في تتبع خبر مخطوطه؛ يبذل جهدا أكبر ليتمكن من النسخ الخطية المتوفرة والمتاحة، قلّت أو كثرت. ولا يتعجل الشروع في التحقيق قبل أن تتوفر بين يديه والإخلال بهذا المبدأ هو إخلال بمنهج التحقيق السليم والأمثل، لأنه ينتج عنه عمل ناقص ومشوه، وغير موثوق. إذ قد تكون النسخ الأخرى المغيبة تحمل ما يتم النص، فيجعله في صورته المأمولة⁸. إن من أعظم المشكلات التي تواجه المحققين صعوبة الحصول على نسخ خطية لأجل الانطلاق في التحقيق أو إتمامه على الصورة التي أرادها، وتحقيق الهدف الذي سطره، مما يضطر معه الباحث إلى الاستغناء عنها، بعد محاولات الحصول عليها، أو البدء في التحقيق، ريثما يظفر بها. ويصبح الأمر صعبا إذا كان بين يدي الباحث نسخة واحدة لا غير، تفتقر إلى نسخة أخرى ليقبل عمله.

يرتحل الباحث شرقا وغربا، ويكثف اتصالاته، بغية تجميع النسخ الخطية اللازمة لبدء العمل في التحقيق. لكنه قد يوفق إلى ذلك، وقد لا يوفق. والشاهد على ذلك ما حدث به أحدهم، عن ما بذله من جهد في سبيل الحصول على النسختين الأوليين، من مکتبات في غرداية والمكتبة الوطنية بالحامة. وسعيه إلى نسخة ثالثة من زاوية بمدينة العطف، لكن دون جدوى. قال: " تبين لي أن الأمر ليس بالهين، بل هو من الصعوبة بمكان، يستلزم البحث الجاد والصبر المستمر، والإيمان العميق. فعدت إلى المكتبة الوطنية مرات عديدة، وإلى المكتبات الخاصة بالجزائر العاصمة، ومدينة بسكرة، ووهران، حتى تكفل هذا الجهد المتواصل بحصولي على نسخة ثالثة...ثم فتح الله علي بنسخة رابعة...وقد شرعت في التحقيق من قبل في بداية عهدي مع البحث، وكنت على وشك الانتهاء منه؛ فكان لزاما علي أن أعيد التحقيق من جديد، بالتدقيق والموازنة، حيث قمت بمقابلة النسخ الثلاث بالنسخة الجديدة التي تحصلت عليها... [وقد تمت مراسلة مركز المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالرباط، لكن لم ألق ردا] "⁹.

من زاوية أخرى، نلفي بعض الباحثين لا يبذلون جهدا في تتبع نسخ الكتاب، والحصول على القدر الكافي المطلوب في التحقيق، لخدمة النص؛ إذا ما كانت الغاية إخراج عمل مقبول ينتفع به غيرهم من الباحثين، خاصة حينما يكون الأمر متيسرا. فوجود فهراس مخطوطات تعين على معرفة ما هو متوفر من مخطوطات، مع بياناتها الضرورية، إلى جانب وجود مؤسسات ثقافية تقدم مساعدات لطلبة العلم، بتمكينهم من نسخ مخطوطة عند الحاجة. والمهم في كل ذلك أن المحقق لا يقنع بالقليل. ومن الأمثلة على ذلك، ما وقفت عليه في رسالة لباحثة حققت مخطوطة في التاريخ، صرحت بأنها " اعتمدت على نسختين من المخطوط



للتحقيق، لأن البحث عن غيرهما لم يُجد نفعا رغم كل المحاولات، والاتصالات التي قمت بها. فكلتا النسختين موجودتين في النت على الموقع الإلكتروني " ¹⁰ . إن النسخة (أ) المعتمدة في تحقيقها هي في حقيقتها طبعة حجرية، بدليل ما ورد في بدايتها: " ...طبعت بذمة خادمه الحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى لقبه عشو... " ¹¹ . النسخة (ب) كذلك طبعة حجرية، يدل له ما جاء في نهاية النص المحقق: " قد تم طبع هذه الرسالة على يد الحاج بكير بن الحاج قاسم بن الشيخ بلحاج القراري مسكنا التاجر... " ¹² . وقد نهت الباحثة في الهامش على كون هذه العبارة زيادة من (ب). الباحثة لم تعتمد في تحقيقها نسختين خطيتين - كما اعتقدت - إنما اعتمدت طبعيتين حجريتين. ويجوز تحقيق كتاب مطبوع طبعا حجريا في حالة فقدان نسخته الخطية. لكن الرسالة الشافية التي حققها، لها نسخ خطية، وهي متوفرة، والحصول عليها متيسر. ولو أن الباحثة نقصت خبر نسخ الكتاب، واجتهدت في تحصيلها، فاعتمدتها، لخرج عملها في صورة أفضل.

للمرسالة الشافية التي حققها نسخة خطية بخزانة مؤلفها الشيخ اطفيش، ببني يزجن في غرداية، رقمها (أث2)، تاريخ تأليفها الفعلي هو ما بعد ذي الحجة 1320 هـ؛ على اعتبار أن مؤلفها كان يعود إلى كتابه ليزيد فيه.

وهذه النسخة محفوظة تحت عنوان (الرسالة المختصرة)؛ نسخها امتد من الفترة ما بعد 1286 هـ إلى ما بعد أواخر ذي الحجة 1320 هـ. إن هذه النسخة الخطية، بها زيادات وتصحيحات بخط مؤلفها، المقدر بحوالي ثلث المخطوط. ونسخة هذه أوصافها، لبي أولى بالاعتماد والتقديم في التحقيق، خاصة إذا علمنا بأن تلك الزيادات ليست في الطبعيتين الحجريتين اللتين ظهرتا في 1299 هـ و 1326 هـ، المعتمدتين من قبل الباحثة في التحقيق. فهما طبعتان ناقصتان ¹³ . وللمرسالة الشافية أيضا نسخة خطية كاملة في مكتبة الحاج سعيد محمد أيوب، في غرداية، محفوظة تحت عنوان (رسالة مختصرة في التاريخ)، رقمها (6) ¹⁴

ولا شك في وجود نسخ خطية أخرى في غرداية، يسهل أمر معرفة ذلك بالرجوع إلى فهرس مكتباتها وخزائنها الكثيرة. فلو توفرت هذه النسخ الخطية بين يدي الطالبة، لكانت عوناً لها في توثيق النص توثيقاً جيداً، ولتمكنت من تحقيق عنوان الكتاب الذي ثبت في فهرس المخطوطات بصيغ مختلفة. ومثال آخر عن عدم الاجتهاد في تحصيل القدر الكافي من النسخ الخطية، ما كان من محقق شرح الأجرومية للشيخ اطفيش، الذي روى في رسالته



للماجستير عن الأستاذ بن بهون حاج امحمد، أنه لا يعلم بوجود النسخة الأصلية لمخطوطه، " ولعلها بحوزة أبناء الشيخ المطهري في بلدة مليكة بغرداية ... " ¹⁵. ولو أن الطالب بذل جهدا في تحصيل هذه النسخة، لأعانتة على حل بعض الإشكالات، ومنها إشكالية عنوان الكتاب المختلف فيه. فالشيخ الحاج سليمان بن بكير مطهري (ت: 1948 م)، من أشهر تلاميذ الشيخ اطفيش، وهو مؤلف وناسخ أيضا. لازم شيخه، الذي كان يستخلفه للتدريس حين غيابه. عرف " بالضبط في نسخ الكتب، وبالأخص مؤلفات أستاذه القطب اطفيش؛ وقد اعتمده ضمن القلة من كتّابه الخواص، الذين يطمئن إلى عملهم، ويثق في ضبطهم. وتشهد العشرات من المخطوطات التي بخطه، والمبثوثة في العديد من خزائن وادي ميزاب بذلك؛ والذي يبدو من خلالها أن الشيخ سليمان كان ممثنا لحرفة النساخة " ¹⁶. وفي مكتبته جزء مما نسخه لشيخه محمد بن سليمان ابن ادريس والقطب اطفيش. وقد بلغت عناوين شيخه اطفيش في مكتبته ثلاثة وخمسين (53) ¹⁷. هذه النسخة العالية من شرح الآجرومية للشيخ اطفيش، المسمى (المسائل التحقيقية في بيان التحفة الآجرومية) - المشار إليها سابقا- هي بخط الشيخ سليمان مطهري، منسوخة في حياة المؤلف، تامة، رقمها (مط 10). بهامشها زيادات بخط مؤلفها، وتصحيحات وتعليقات بخط ناسخها ¹⁸.

ب- إعادة تحقيق مخطوط محقق:

نظر المختصون إلى إعادة تحقيق كتاب محقق، على أنه نوع من الإسراف، وتبديد جهود؛ لأن أولى الأولويات هو العمل على تحقيق ما لم يحقق. أما تحقيق ما سبق تحقيقه بلا داع، فلا يخدم تراثنا ¹⁹.

لقد نبه رمضان عبد التواب في حديثه عن جمع النسخ المخطوطة للنص، إلى مسألة مهمة، وهي ضرورة " معرفة الطباعات السابقة للكتاب، إذا كان قد نُشر من قبل... فإن كان الكتاب قد سبق نشره، نقدنا هذه النشرة. فإن ثبت لنا أن الناشر قد استخدم في نشرته جميع النسخ الموجودة للكتاب، وأنه قد اتبع في إخراجها الطرق العلمية للنشر، اكتفينا بهذه النشرة. أما إذا كان الكتاب لم ينشر من قبل، أو كانت نشرته فاسدة لسبب أو لآخر، استحق عنايتنا به، وقيامنا بنشره " ²⁰.

الفتوى واضحة؛ أكدت عدم مشروعية تحقيق ما تم تحقيقه إلا لأسباب وجيهة، هي:
- التحقيق الأول لم يكن علميا تبعا لقواعد تحقيق المخطوطات المتعارف عليها.



- التحقيق الأول لم يكن تاما، لعدم الرجوع إلى جميع نسخ المخطوط، وحصول المحقق الثاني على نسخة جديدة، أو أكثر، تكون دقيقة ومستوفاة، لها قيمة علمية. وحري بالمحقق الجديد أن ينبه في مقدمة تحقيقه إلى وجود نشرات سابقة لمخطوطه، فينقدها، مدعما ذلك بأمثلة ²¹.

إن بعض الباحثين الجامعيين يقبلون على إعادة تحقيق كتب محققة، عن علم أو عن جهل؛ فقد يسجل أحدهم موضوع رسالته دون علم له بوجود بحث في الموضوع نفسه، إلا بعد فترة من الزمن، وقبل إنهائه البحث. فيضطر إلى إعادة النظر في عمله، واستدراك الأمر، الباحث عليه الأمانة العلمية. وفي المقابل نلفي فئة أخرى من الباحثين، تمضي في التحقيق، وهي تعلم بوجود عمل مشابه، أنجز من قبل، ولكن لا تعبر للقضية بالا، ظنا منهم أن الأمر هين.

نسوق مثالا للباحث الأمين في مثل هذا الوضع. إنها محققة مخطوط في علم العروض، تروي لنا أن بعد تسجيل بحثها، وقطع شوط كبير فيه، وفي مرحلة متقدمة من العمل، بلغها وجود تحقيق للمخطوط نفسه في جامعة مغربية، فكان اكتشافا متأخرا - كما وصفته - وما كان منها إلا السفر للاطلاع على الرسالة المنجزة، ومعرفة طبيعة التحقيق، والموازنة بينه وبين تحقيقها. إن الأمانة العلمية تقتضي التصريح بجهود السابقين، وعدم بخس حقوقهم. لذلك أشارت الباحثة في مقدمتها إلى هذا التحقيق السابق؛ مفصلة الحديث عن قصة اكتشافه، وموقفها منه. هذا الموقف الذي يجب أن يتبناه كل محقق نزيه في مثل حالتها.

قالت: "على الرغم من هذا الاكتشاف المتأخر، الذي أوقعني في حرج كبير بين التوقف عن تحقيق الكتاب، وبين المضي فيه. إلا أنني لم أستسلم أمام هذا التناقض، خاصة بعد مساءلي لأهل العلم والتجربة؛ فتبين لي أنه يجوز إعادة تحقيق الكتاب بشرط أن لا يكون مماثلا للتحقيق السابق، على أن أطلع على الرسالة المحققة بعد نهاية العمل، لأقاربه بالنص الذي حققته. ثم أقدم استدراكا للنقائص والهفوات في تحقيق الدكتور...وفعلا مضيت في تحقيق الكتاب ودراسته إلى أن اكتملت صورته...فسافرت بعدها مباشرة إلى المغرب للاطلاع على الكتاب المحقق، لأقابل بينه وبين النص الذي حققته..." ²². وقد رأت الباحثة أن تخصص فصلا في رسالتها عنوانته بـ (قراءة في تحقيق الدكتورة أمينة زين العابدين)، تجمع فيه ملاحظاتها عن التحقيق السابق، تبعا لما وقفت عليه من خلل، شكلت دراستها النقدية له.



نخلص من خلال تلك القراءة أنها مبررات كافية، تمنح الحق لها في إعادة تحقيق المخطوطة نفسها، مع الاعتراف بفضل المحقق السابق. فالغرض من ذلك كله - كما قالت - تصويب الأخطاء، خدمة للكتاب، ليخرج نص المخطوط صحيحا من جميع جوانبه²³. ولأن ذلك كان من الطوارئ في مسيرة البحث، يُلزم المحقق الأمين عدم إغفاله، بتوضيح أمره في مقدمة الرسالة، وليخصص مبحثا أو فصلا لنقده، كما صنعت الباحثة المذكورة - المحققة الثانية - إذ لم تترك للقارئ مجالا للشك في أنها اجتهدت من خلال سعيها الحثيث، للتأكد من انعدام تحقيق سابق لمخطوطها، قبل الإقدام على تسجيل موضوع رسالتها. ووسائلها المعتمدة في ذلك كما قالت: " جرد وبحث في قوائم وفهارس المخطوطات في المكتبات العربية، وفهارس الرسائل الجامعية المنجزة في مجال التحقيق عبر مختلف الجامعات. كما قمنا بإطالة مسحية لمختلف المواقع الإلكترونية التي تهتم بفهرسة المخطوطات المحققة وغير المحققة؛ وهذا كله في سبيل التأكد من [كون المخطوط] ليس محققا، فلم يتبين لي [ذلك. فكان الاطمئنان، و] مباشرة العمل على [تحقيقه] لغياب أدنى إشارة تفيد بتحقيقه..."²⁴. إذن؛ لا بد من التبرير لإعادة تحقيق نص سبق تحقيقه، حتى وإن تأخر علم المحقق الثاني بذلك. فالأمانة العلمية تجبره على التصريح، والتصرف بشجاعة، والغاية من ذلك كله، خدمة التحقيق، وعدم السطو على جهود السابقين بطريقة أو بأخرى. أما إغفال الإشارة إلى التحقيقات السابقة، فإنه يفتح مجالا للشك في نزاهة التحقيقات الجديدة.

4. حلول مقترحة:

التراث المخطوط هووية الأمة، ودليل على إسهامها الحضاري عبر التاريخ، ومسألة إنقاذه معنيّ بها الأفراد والجماعات. إن التحقيق آلية من آليات الإنقاذ، لا بد من التعاون لحل مشكلاته، والتهوض به، لتكون جهود المحققين مثمرة. وما سطرناه هنا من حلول، قد تجدي، وتسهم في تيسير مهمة من أقبلوا على التحقيق، وتحفز من زهدوا فيه على خوض غماره. ففي جميع الأحوال هم في حاجة إلى دعم معنوي، علمي، مادي، وقانوني... أ- إسهام الجامعة بتجهيز مكتباتها بمصادر البحث، التي يحتاجها المحقق؛ من مخطوطات مصورة، ومراجع تراثية في اللغة والأدب والفلسفة والتاريخ ...، وما خص التحقيق وقواعده، وعلم المخطوطات عامة، ومعاجم لغوية ومعاجم مصطلحات، وفهارس مخطوطات.



- ب- لا بد من حركة نقدية موازية لحركة التحقيق، يتولاها متخصصون وأهل الخبرة الطويلة في المجال؛ تنشر دراساتها في مجالات متخصصة، ليسترشد بها المحققون.
- ج- إسهام الجامعة في تيسير مهمة المحققين، بتخصيص ميزانية خاصة لتحقيق المخطوطات؛ يصرف منها على تنقلاتهم- على اعتبار السفر حاجة ملحة - لأجل تحصيل نسخ المخطوط الضرورية، ولغيرها من الأوجه.
- د- تقييد الطالب المحقق بمدة زمنية لينهي عمله خلالها، يجعله يسابق الزمن، فتكون العجلة، مما ينعكس سلبا على تحقيقه؛ فإما أن يتمه في الوقت المحدد، لكن الجودة تكون غائبة. وإما أنه يتوقف في منتصف الطريق، فيضيع الجهد الذي بذله سدى.
- لذا، على الإدارة عدم تقييد الطلبة المشتغلين بالتحقيق بفترة معينة، مثل غيرهم من الطلبة الذين يخوضون في موضوعات عامة.
- هـ- قيام الجامعة بعقد اتفاقيات مع مؤسسات علمية وجامعات أجنبية، لها إمكانيات في مجال تحقيق التراث؛ مثل معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة، للتكفل بالطلبة المحققين، في إطار تربص لفترة معينة، سعيا لزيادة تحصيل خبرات في التخصص، عن طريق التكوين الجيد.
- و- عمل الجامعة على نشر أعمال المحققين الجيدة، تشجيعا لهم، وتحفيزا لغيرهم على تحسين الأداء.
- ز- تنظيم مسابقة سنوية لأفضل رسالة جامعية في مجال تحقيق المخطوطات، وتخصيص جوائز لذلك. وحبذا لو تزامنت مع الاحتفال بشهر التراث.
- ح- حرص المشرف والجهات المعنية في مؤسسة الطالب الجامعية، بتقصي أمر المخطوط المختار للتحقيق؛ هل سبق تحقيقه، وهل هو مسجل في جامعة أخرى موضوعا لدكتوراه أو ماجستير؛ حتى لا تهدر الجهود، وتستغل فيما هو أفيد. ثم إن الطالب غالبا ما يكون قاصرا عن الإحاطة بذلك. فمسألة التثبت ليست مسؤولية الطالب وحده.
- ط- برمجة اجتماعات دورية للمكونين في تخصص تحقيق المخطوطات، أو المدرسين لهذه المادة التعليمية في مرحلة ما بعد التدرج، لطرح وجهات النظر في منهجية التدريس، والبرنامج المعتمد؛ فيعاد النظر فيهما، لإنتاج معرفة فاعلة.
- ي- مشكل الخط: يجتهد لحله بتخصيص مادة تعليمية لهذا الفن، في مرحلة التكوين، يتولى تدريسها متخصص. والأمر نفسه بالنسبة للمواد الأخرى؛ فيكون إشراك متخصصين في الفنون



والآثار الإسلامية، التاريخ والحضارة، وعلم المكتبات... لمنح الطالب المقبل على التحقيق تكويننا متخصصا، ذا جودة عالية، يعود عليه بالنفع، ونضمن معه تحقيقات علمية دقيقة. ك- إعادة النظر في تحديد الهدف من التكوين في كل مرحلة (مرحلة نظرية، وأخرى تطبيقية) في المستويات جميعها. فهل الهدف من تدريس تحقيق المخطوطات واحد بالنسبة لها جميعا ؟. لا بد من إيجاد صلة بين هذه المستويات والمراحل، وعدم التكرار. ل- النسخة الخطية كبيرة الحجم، يشترك في تحقيقها طالبان أو أكثر، تبعا لعدد أوراقها. ويتم التنسيق بينهم، لتوحيد طريقة العمل، من حيث اعتماد مصادر التخرّيج نفسها، وغير ذلك.

م- الخلل الملاحظ في بعض التحقيقات مرده إلى الأستاذ المشرف أحيانا، الذي قد لا يكون مؤهلا في التخصص، أو المكونين غير المختصين أحيانا أخرى، يتولد عن ذلك ضعف في تكوين الطالب، الذي لا يصلح معه المغامرة في تحقيق مخطوط.

ن- التنسيق بين الجامعات والمكتبات والمؤسسات العلمية والجمعيات الثقافية الخاصة، المهمة بالتراث المخطوط، لتيسير مهمة الطلبة المحققين في الاطلاع على المخطوطات، وتصويرها.

ص- لا يسمح للطلاب بالشروع في التحقيق حتى يجمع القدر الكافي من النسخ الخطية، متى توفرت، لتفادي المشكلات في مراحل لاحقة.

خاتمة:

خاتمة بحثنا حوت نتائج وتوصيات:

أ - نتائج:

- إن إقبال بعض الطلبة في جامعاتنا على تناول تحقيق مخطوط موضوعا لرسائلهم الجامعية، يعيقه كثير من المشكلات، قد يكون مصدرها الباحث نفسه، أو غيره. أدى ذلك إلى وجود ثغرات في أعمالهم المحققة.

- تسببت تلك المعوقات في زهد طلبة - مارسوا التحقيق في مرحلة الماجستير مثلا - في معاودة تجربة التحقيق في مرحلة الدكتوراه. وجعلت آخرين ينصرفون تماما عن التفكير في تناول تحقيق مخطوط موضوعا لرسائلهم.

- إن مشكلات التحقيق على اختلافها، لها حلول؛ إن تضافرت الجهود، لأجل إنقاذ تراثنا المخطوط.



- الاشتغال بالتحقيق يتطلب محققين أكفاء، تُوفّر لهم أسباب الأداء الجيد. وإذا انعدمت الكفاءة، أو أسباب الأداء الجيد، حدث ما لا يحمد عقباه؛ فقد يشوه النص، وبذلك تغيب الحقيقة التي ننشدها من وراء فعل التحقيق.

ثم كيف لنص بهذه المواصفات أن يعتمد في دراسات لاحقة؟

- إن التحقيق العلمي الدقيق للنصوص "يسهل على المشتغلين بموضوعاتها قراءتها، والإفادة منها، وليس أجدى على الباحث من أن يكون بين يديه الوثائق الأولى مضبوطة، محققة، خالية من شوائب التحريف والتصحيح" ²⁵.

ب- توصيات:

- العمل على فتح تخصصات في تحقيق المخطوطات في كل جامعة؛ توفّر التكوين الجيد في هذا المجال، لضمان الجودة في الإنتاج.

- إنشاء مراكز ومعاهد تعنى بالتراث المخطوط، وتسهم في تكوين جيل متخصص في التحقيق. - التثقيف من الدورات التدريبية في تحقيق المخطوطات، لتكمّل المعرفة النظرية التي حصلها الطالب في مرحلة التكوين.

الهوامش:

¹ فهي سعد وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1413 هـ / 1993 م، ص 6.

² ينظر: رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 2002 م، ص 5.

³ عن الشروط الخاصة بالمحقق، ينظر:

- عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف؛ القاهرة، ط 2، 1993 م، ص 310 - 312.

- عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د.ط.)، 1415 هـ / 1994 م، ص 41 - 43.

- فهي سعد وطلال مجذوب، مرجع سابق، ص 20 - 21.

- إياد خالد الطباع، منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، دار الفكر، لبنان دمشق، (د. ط.)، 1423 هـ / 2003 م، ص 41 - 43.



⁴ ينظر: فهي سعد وطلال مجذوب، مرجع سابق، ص 20. و سمر روجي الفيصل، " تحقيق المخطوطات في الرسائل الجامعية"، المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا، السنة 50 العدد 577، ذو القعدة 1432 هـ / تشرين الأول 2011 م، ص 379 - 380.

⁵ ينظر بعض ما أوردها هنا في: جاسم فريح داخ الترابي، " مشكلات تحقيق المخطوطة الفريدة"، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، لبنان، ع 37، يناير 2018 م، ص 79 - 88.

⁶ ينظر: رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 60 - 65. ويحيى مخيمر صالح، " تحقيق التراث ماهو كائن وما ينبغي أن يكون"، أوراق المؤتمر الدولي (تحقيق التراث الرؤى والآفاق)، إعداد وتحرير: محمد محمود الدروبي، جامعة آل البيت، الأردن؛ 1427 هـ / 2006 م؛ المجلد 1 ص 67.

⁷ عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، مرجع سابق، ص 51.

⁸ ينظر: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، مرجع سابق، ص 52. ويحيى مخيمر صالح، مرجع سابق، المجلد 1 ص 67.

⁹ عبد القادر بوزياني، المفعّل والمفعّل ومعانيهما لمحمد بن العباس التلمساني (ت: 871 هـ) تحقيق ودراسة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2007 م، ص 6.

¹⁰ فاطمة الزهراء صغير، الرسالة الشافية للشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (توفي 1914 م) دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 1439 - 1440 هـ / 2018 - 2019 م، ص 64.

¹¹ فاطمة الزهراء صغير، المرجع نفسه، ص 67.

¹² فاطمة الزهراء صغير، مرجع سابق، ص 259.

¹³ ينظر: صالح بن بكير سيوسيو ومحمد بن عمر بوسنان، فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشير بالقطب (1243 - 1332 هـ / 1827 - 1914 م)، مكتبة القطب، يسجن، غرداية، شعبان 1434 هـ / جويلية 2013 م، ص 234 - 235.

¹⁴ ينظر: قسم التراث والمكتبة (مؤسسة الشيخ عبي سعيد)، فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد لخبورات، غرداية، 1426 هـ / 2005 م، رقم المخطوط (107).

¹⁵ رشيد حيدرة، مسائل التحقيق في بيان التحفة الآجرومية للشيخ أمحمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332 هـ / 1914 م) تحقيق ودراسة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2013 م، ص 18.

¹⁶ قسم التراث والمكتبة (مؤسسة الشيخ عبي سعيد)، فهرس مكتبة خزانة آل مطهري للناسخ المحترف الشيخ الحاج سليمان بن بكير مطهري المليك (ت: 1367 هـ / 1948 م) ونجله العلامة الفقيه الشيخ الحاج محمد بن سليمان (1439 هـ / 2018 م)، غرداية، الحلقة 18، 1439 هـ / 2018 م، ص (هـ - و).

¹⁷ ينظر: قسم التراث والمكتبة (مؤسسة الشيخ عبي سعيد)، المرجع نفسه، ص (ط - ل).



- ¹⁸ ينظر: قسم التراث والمكتبة (مؤسسة الشيخ عبي سعيدي)، فهرس مكتبة خزانة آل مطهري، ص 62 .
- ¹⁹ ينظر: يوسف حسين بكار ، " تحقيق التراث لماذا وكيف "، أوراق المؤتمر الدولي (تحقيق التراث الرؤى والآفاق)، إعداد وتحرير: محمد محمود الدروبي، جامعة آل البيت، الأردن، 1427 هـ / 2006 م، المجلد 1 ص 48 .
- ²⁰ رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 65 - 66 .
- ²¹ ينظر: يوسف حسين بكار، مرجع سابق، ص 48 ، 51 .
- ²² صباح مجاهدي، المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية لأبي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني (766 هـ- 842 هـ) تحقيق ودراسة، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2015 م، ص 5 .
- ²³ ينظر: صباح مجاهدي، المرجع نفسه، ص 5 ، 68 وما بعدها.
- ²⁴ صباح مجاهدي، مرجع سابق، ص 68 - 69 .
- ²⁵ عبد المجيد دياب، مرجع سابق، ص 311.